مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية- جامعة وهران1
المجلد13- العدد2 (نوفمبر) 1444- 1445هـ/2023م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-013-002
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

DOI: 10.54240/2318-013-002-002

إفريقيا مطمورة روما: قراءة في السياسة الزراعية لروما في شمال إفريقيا

Africa granary of Roma: A reading of the agricultural policy of Roma in North Africa

اسم ولقب المؤلف المرسل: محمد الهادي حارش- Mohamed el Hadi Hareche صص27- 43
الدرجة والعنوان المهني: أستاذ التعليم العالي mohamedelhadi.hareche@univ-alger2.dz
البريد الإلكتروني: hareche@live.fr

تاريخ استقبال المقال: 02-06-2023.. تاريخ المراجعة: 10-07-2023.. تاريخ القبول: 19-11-2023

الملخص: البلاد المغاربية الحالية، التي تعجز عن تلبية حاجة سكانها الغذائية بمادة القمح، كانت تنعت ب "مطمورة روما قديما". هذا التناقض الصارخ بين الثراء الذي يضرب به المثل في الفترة الرومانية والبؤس الحالي، يجب أن يكون نقطة انطلاق لأي دراسة عن الاقتصاد الزراعي المغاربي.

وذلك بهدف معرفة العوامل التي كانت وراء هذا الثراء قديما، إذ يتم التركيز على ازدهار العمران في الفترة الرومانية، ومراد ذلك السياسة الحكيمة للأباطرة الرومان، والجهود التي بذلوها لتوفير الأمن والاستقرار، بالحد من حركة البدو وإقامة مشاريع الري وتوسيع وتنويع الخريطة الزراعية، هذا في الفترة الرومانية، أما حديثا، فتركز المدرسة الغربية والفرنسية بالخصوص على عجز الإنسان، وليس على إفقار الطبيعة، الذي تسبب فيه الاستغلال المفرط للأرض والإخلال بالتوازن البيئي، هكذا تحاول المدرسة الغربية التغاضي عن المشكلات المعقدة، التي أدّت إلى انحطاط وتخلف الإنسان، وهو الاستعمار ذاته، ونحن في الواقع مضطرون أن نذكر حقيقة غفلها هؤلاء، وهي أنّ "إفريقيا مطمورة روما"، وكانت كذلك لكونها أرغمت على إمداد روما بالقمح، ولو كان ذلك على حساب أبنائها، وهو ما نحاول معالجته.

الكلمات المفتاحية: الاقتصاد، شمال إفريقيا، مطمورة، القمح، الزيتون.

***ABSTRACT*:** The current countries of the Maghreb, which are unable to meet the food needs of their population with wheat, were known as "Granary of Roma" in antiquity.

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية- جامعة وهران1
المجلد13- العدد2 (نوفمبر) 1444- 1445هـ/2023م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-013-002
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

The stark contrast between the proverbial affluence of the Roman period and the present misery should be the starting point for any study of the agricultural economy of the Maghreb.

This is with the aim of knowing the factors that were behind this wealth in ancient times, as the focus is on the prosperity of urbanization in the Roman period, and what this means is the wise policy of the Roman emperors, and the efforts they made to provide security and stability, by limiting the movement of Bedouins, establishing irrigation projects, and expanding and diversifying the agricultural map, this in the period. Roman, but recently, Western and French study in particular focuses on human impotence, and not on the impoverishment of nature, which was caused by excessive exploitation of the land and disruption of the environmental balance.

Thus, the Western school tries to overlook the complex problems that led to the decline and backwardness of man, which is colonialism itself. In fact, we are forced to mention a fact that these people overlooked, which is that "Africa is Granary of Roma," and it was so because it was forced to supply Rome with wheat, even if that it was at the expense of its children, this is what we are trying to study.

Keywords: Economy, North Africa, Granary, Wheat, Olive.

المقدمة: أطنب المؤرخون الغربيون في إبراز دور روما في توسيع وتنويع الخريطة الزراعية في بلاد المغرب القديم باستصلاح الأرض وإقامة مشاريع الري والحد من تنقل البدو الرحل، وكذا توفير الأمن والاستقرار حتى غدت المنطقة تعرف ب"مطمورة روما" لكن دون الإشارة إلى النهضة الزراعية سواء في مملكة نوميديا في عهد ملوكها، ولا قرطاجة، التي كان إعجاب "كاتو" بنشاطها الزراعي سببا في رفعه شعار "يجب تدمير قرطاجة" (Delenda est Carthago)، الذي كان ضمن أسباب الحرب ا لبونيقية الثالثة البارزة وسقوط قرطاجة 146 ق.م.

إذا كان هؤلاء المؤرخين قد أهملوا الإشارة إلى تلك النهضة السابقة للاحتلال الروماني، وقدّموا لنا صورة مشرقة لبلاد المغرب في الفترة الرومانية، وهي الصورة التي لازمت المنطقة حتى بعد سقوط روما، فالفترة الوندالية لم تؤثر، إذ سرعان ما عادت الصورة المشرقة مع حركة الاسترداد التي قام بها يوستينيانوس، لكن تدمير البلاد والخراب الذي يحل بها يبدأ بمجيء عرب بني هلال، وليس هذا فحسب بل يؤكد بيكار أنّ عجز ابن المنطقة وراء هذا التناقض بين ثراء البارحة وعجز اليوم، مع التغاضي عن المشكلات التي أدّت إلى هذا الانحطاط والتخلف، الذي هو في الأساس الاستعمار والاستغلال المفرط للأرض، ما أدّى إلى إفقار التربة واستغلال الغطاء

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية- جامعة وهران1
المجلد13- العدد2 (نوفمبر) 1444- 1445هـ/2023م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-013-002
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

النباتي وإبادة الثروة الحيوانية، نتيجة تقلص الغابات وعمليات الصيد المكثفة للحيوانات عامة والمفترسة بالخصوص لاستخدامها في الألعاب والمهرجانات واحتفالات النصر، ما أدّى إلى الاختلال الإيكولوجي، لكن هذا لم يلفت انتباه هؤلاء، وإنّما من خرّب البيئة في نظرهم هو ذلك المواطن، الذي حرم من أرضه ودفع به إلى السهوب والصحاري أو المناطق الجبلية الفقيرة، ليزحف هو الآخر على الغابات في الشمال والاستغلال المفرط للمراعي في الهضاب، هذا البدوي، الذي حرم من خيرات بلاده، هو العالة هو المخرب في نظرهم.

قبل الخوض في السياسة الزراعية لروما، أود الإشارة إلى بعض مناهج التفكير المتبعة في كتابة تاريخنا، التي لم تستطع المدرسة الغربية التخلص منها أو لم تكن لها الرغبة في ذلك، وهي خاضعة لآراء معينة متأثرة بالمفاهيم السياسية، التي كانت سائدة في الفترة الاستعمارية.

إنّ ما نعرفه عن تاريخنا مستمد من المصادر الأدبية الإغريقية- الرومانية، التي لا شك تمثل رؤية ووجهة النظر الرومانية، لنأخذ مثلا انتفاضة تاكفاريناس، التي دامت أزيد من سبع سنوات (17-24م)، التي تعد أول وأكبر انتفاضة، قامت في عهد الإمبراطور تبيريوس (14-37م) لمواجهه سياسة الاستيطان الشرسة للأباطرة الرومان، فقد رأى فيها كثير من مؤرخي المدرسة الاستعمارية "صراعا بين الحضارة والبداوة" وأن محاولة هؤلاء السكان وقف التقدم الروماني والاستيطان، هو رفض لنمط حضاري أرقى ونظاما اجتماعيا أفضل[1].

ولم ير أحد منهم أنه من حق هؤلاء النوميديين المزولاميين الدفاع عن أرضهم وعرضهم، وقد رأى حتى تاكيتوس، الذي يصف تاكفريناس بالصعلكة واللصوصية[2]، في مطالبة هذا الأخير الإمبراطور تبيريوس بإعادة الأرض لأصحابها قبل وقف لهيب الانتفاضة "وقاحة"[3] مع أن المطالب، التي نسبها هو شخصيا لتاكفاريناس، تعطي فكرة واضحة عن الأسباب الحقيقية لمقاومة هؤلاء السكان الوطنيين، فقد حملوا السلاح لإرغام أقوى امبراطورية على الاعتراف بحق الشعب في الأرض، إذ شرع الرومان في مصادرة كل الأراضي الخصبة منذ أن وطئت

1- محجوبي (ع.)، "العصر الروماني وما بعده في شمال إفريقيا"، **تاريخ إفريقيا العام**، اليونسكو، 1987، ص. 476.

2-Tacite, **Annales**, II, 52, 1., trad. Pierre grimal, éd. Gallimard (Paris 1993).

3 -IDEM, III, 73,1.

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية- جامعة وهران1
المجلد13- العدد2 (نوفمبر) 1444- 1445هـ/2023م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-013-002
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

أقدامهم أرض ثامزغة، كما حددت وقلصت المناطق، التي تعود الرحل التنقل فيها[1]، ووطد قدامى المحاربين وغيرهم من المستوطنين الرومان واللّاتين والايطاليين أقدامهم في كل مكان بادئين بأخصب الأراضي، واقتطعت شركات الجباية وأعضاء الأرستقراطية الرومانية من النبلاء والفرسان، ممتلكات ضخمة لأنفسهم، بينما طرد المواطنون إلى السهوب والصحاري، وصار أملهم الوحيد في المقاومة، وهدفهم استعادة الأرض المسلوبة[2].

هذا كمثال لمواقف تلك المدرسة، التي حاولت أيضا الترسيخ في أذهاننا، أننا عرفنا الزراعة مع قدوم الفينيقيين، الذين أدخلونا التاريخ، وتطورت وتوسعت الخريطة الزراعية بقدوم الرومان[3]، باستصلاح الأرض وإقامة مشاريع الري، والحد من نشاط البدو الرحل، ووفرت الأمن والاستقرار، وحسنت معيشة الأهالي وحضّرتهم[4].

هذه الصورة "النمطية" نجدها عند معظم مؤرخي المدرسة الغربية، وهي صورة لم يحد عنها بيكار (جيلبير- شارل) في كتابه: "حضارة إفريقيا الرومانية"، حيث يقول وهو يتبجح بثراء إنتاج إفريقيا الرومانية وفقرها في العصور الحديثة: "يجب أن نبين أن التناقض بين رفاهية إفريقيا قديما والبؤس المعاصر، لا يعود إلى إفقار الطبيعة، لكن إلى انحطاط الإنسان"[5].

«Il convient de montrer que le contraste entre la prospérité antique et la misère moderne, est dû non à l'appauvrissement de la nature, mais à la déchéance de l'homme».

هكذا يحاول أن يتغاضى عن المشكلات المعقدة، التي أدت إلى تخلف وانحطاط الإنسان، وهو الاستعمار ذاته البارحة واليوم، ونحن في الواقع مضطرون، أن نذكر حقيقة أغفلها هؤلاء، وهي أن "إفريقيا مطمورة روما"، كانت كذلك، لكونها كانت مقهورة، فقد أرغمت على إمداد روما بالقمح ولو كان ذلك على حساب سكانها.

1 -Picard (G. Ch.), **La Civilisation de l'Afrique –Romaine**, éd. Plon (Paris 1959), P. 65-66.

2-محجوبي (ع.)، المرجع السابق، ص. 476.

3- حارش (محمد الهادي)، **التطور السياسي والاقتصادي في نوميديا منذ اعتلاء ماسينيسا العرش إلى وفاة يوبا الأول 203-46 ق. م**، دار هومة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص. 6.

4-Picard (G. Ch), **op.cit**, P. 59.

5 -IDEM, P. 51.

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية- جامعة وهران1
المجلد13- العدد2 (نوفمبر) 1444- 1445هـ/2023م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-013-002
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

تغافل بيكار وأمثاله هذه الحقيقة، وحاولوا أن يقدموا لنا صورة مشرقة لبلاد "ثامزغة" في الفترة الرومانية، وهي الصورة، التي لازمت المنطقة حتى بعد سقوط روما، فالوندالية (Vandalisme)، لم تؤثر على ذلك، إذ سرعان ما عادت الصورة المشرقة مع حركة الاسترداد التي قام بها يوستينيانوس (527-565م) في نظره، لكن تدمير البلاد والخراب، الذي يحل بها في رأيه دائما يبدأ بمجيء عرب بني هلال[1]، الفترة، التي أطلق عليها مواطنه إيميل فيليكس قوتي "القرون المظلمة" (les Siècles obscurs) [2] في تاريخنا: "منذ القرن الحادي عشر، خراب العرب الهلاليين، الذي وصفه ابن خلدون بدقة، كان قد دمر بشكل كلي الزراعة والحياة الحضرية في كامل المناطق الداخلية في تونس والجزائر غرب، لا نجد في منتصف القرن التاسع عشر إطلاقا في الهضاب العليا التونسية ما عدا بلدة واحدة تستحق بالتقريب اسم المدينة: الكاف، بعض القرى النادرة، كان الفضل يعود لموقعها الطبيعي المحصن بشكل جيد في الحفاظ على منازلهم وبعض أشجار الزيتون[3].

Depuis le XI[e] siècle, les ravages des Arabes Hillaliens, décrits avec une précision éloquente par Ibn-Khaldoun, ont anéanti systématiquement l'agriculture et la vie sédentaire dans tout l'intérieur de la Tunisie et de l'Algérie occidentale. Au milieu de XIX[e] siècle encore, il n'existait plus dans le haut Tell tunisien qu'une seule bourgade méritant à peine le nom de ville : le Kef. Quelques rares villages avaient dû, à une situation naturelle particulièrement forte, la sauvegarde de leur maison et de quelques pieds d'Oliviers... tout le reste était livré à l'anarchie gaspilleuse des Nomades.... Du XIV au XIX[e] siècle le pays se trouva ainsi replongé dans la situation misérable, d'où l'avait fait sortir au II[e] siècle Av.J.c., l'énergie civilisatrice de Masinissa.

1 -Picard (G. Ch.), **op. cit**., p. 51.

2-Gautier (E.F.), **Le passé de l'Afrique du Nord les siècles obscurs**, éd. Payot (Paris 1952), p.9,10; ID. "Nomades and Sedentary folks of north Africa " in geographical review (1923), p.7.

3 -Picard (G. Gh.), **op. cit**., p. 51.

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية- جامعة وهران1
المجلد13- العدد2 (نوفمبر) 1444- 1445هـ/2023م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-013-002
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

يعود بعد هذا طبعا، ويطنب في وصف الكثافة السكانية وكثافة العمران أثناء الفترة الرومانية، إذ عدّ أزيد من 200 مدينة في البروقنصلية وحدها من مجموع حوالي خمسمائة (500) مدينة في كامل ثامزغة[1].

ازدهار العمران في هذه الفترة الرومانية في نظره، مرده السياسة الحكيمة للأباطرة الرومان، والجهود التي بذلوها في سبيل توفير الأمن والاستقرار[2]- طبعا للمستوطنين من الرومان واللاتين- بعد مصادرة أراضي المواطنين وطردهم إلى المناطق الصحراوية الجرداء، ومحاصرتهم في المناطق الجبلية الفقيرة والسهوب ومحاولة الحد من حركه البدو الرحل بإقامة خط الليمس.

الخراب، الذي أصاب البلاد منذ القرن الحادي عشر يزيده نهب وتبديد البدو خرابًا، إذ كان بدو الهضاب، يدفعون قطعانهم نحو الشمال، لتخريب ونهب حقول الجبليين وقراهم، وغاصت البلاد ثانية في الفترة الممتدة من القرن XIX-XIV في الوضع البائس، الذي انتشلها منه الملك ماسينيسيا في القرن الثاني قبل الميلاد[3]، وهذا ما اعتبره مواطنهإيميل فيليكس قوتي بالصراع الأبدي بين البدو والمستقرين[4].

تعود النهضة من جديد طبعا مع الإنسان الأوروبي، حيث بنيت القرى الجديدة عادة حول آثار القرى القديمة، بداية من النصف الثاني من القرن التاسع عشر، بفضل النظام النسبي، الذي فرضته الأسرة الحسينية، لكن البناء الحقيقي، لم يبدأ بجدية إلا في بداية القرن العشرين تحت حماية فرنسا، إذ تضاعفت مساحة الأراضي المزروعة، وتم تأسيس قرى جديدة، وتوسعت القديمة، لكن مع ذلك، العمل أبعد ما يكون عن نهايته، وقت ما كتب بيكار سنة 1959، ما دام هناك أراضي لم تصادر بعد من الأهالي[5].

1 -Picard (G. Ch.), **op. cit**, P. 46, 48 et 58.

2 -IDEM

351-. Picard (G. Ch.), **op. cit**, P.

4 -Gautier (E.F.), **les siècles obscurs**

551 - .Picard (G. Ch.), **op. cit**, P.

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية- جامعة وهران1
المجلد13- العدد2 (نوفمبر) 1444- 1445هـ/2023م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-013-002
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

يعود بعدها ويقارن الأعمال المجيدة للرومان والفرنسيين: "لعب الرومان دورا أقل من الفرنسيين في تحسين الوضع الصحي المؤسف للبربر، لكن ضمنوا مثلهم الأمن، وغيّروا أكثر منهم الظروف الاقتصادية، التي يرتكز عليها أساسا مستوى معيشة السكان"[1].

يواصل: "إنّ ما يكبح حيوية الجنس الليبي الخارقة، ليست الحرب ولا المرض أكثر من الجوع، كما ليست تقلبات المناخ من يهدد مزارع الحضر، وإنما هو البدوي"، ليعود إلى أن أكبر عمل قامت به روما، هو تعميمها وضمانها، الثورة الزراعية التي بدأتها قرطاجة وملوك نوميديا، ليصل إلى أنّ بلاد البربر الحالية، التي لا تكفي لتغذيه سكانها، كانت إحدى مطامير العالم القديم[2].

هنا إشارة إلى التضاد بين ثراء البارحة وبؤس اليوم، ثم إصدار حكم يستند إلى أساس واهٍ، بخصوص انحلال السكان والتخلف، مع التغاضي عن المشكلات، التي أدت إلى هذا الانحطاط والتخلف، الذي هو في الأساس الاستعمار والاستغلال الفاحش للثروات، وإفقار البلاد والعباد.

إفقار البلاد من حيث نهب الثروات والاستغلال المفرط للأراضي ما أدى الى إفقار التربة، واستغلال الغطاء النباتي خاصة الغابات، التي استغلت في مختلف الأغراض: التوسع الزراعي على حساب الغابات، صناعة الأثاث وخاصة في تسخين الحمامات، التي تلتهم مساحات ومساحات وكذا توسع العمران، وهو ما يؤدي إلى إبادة الثروة الحيوانية البرية، نتيجة تقلص مساحة الغابات والتغييرات الإيكولوجية من ناحية وعمليات الصيد المكثفة للحيوانات عامة والمفترسة على وجه الخصوص، لاستخدامها في الألعاب والمهرجانات واحتفالات النصر، إذ تشير المصادر إلى أعداد هائلة من الحيوانات التي تصطاد، ففي القرن الأول قبل الميلاد، نجد بومبيوس سنه 55 ق.م وبمناسبة تدشين مسرحه استخدم ستمائة (600) أسد وثمانية عشر(18) فيلا[3] في الألعاب التي أقامها، وفي احتفالات قيصر بانتصاره على بومبيوس، نظم

1 -IDEM. P. 58.

2 -Pline l'ancien, **H. N.**, VIII, P. 53.

3 -IDEM, VIII, P. 20.

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية- جامعة وهران1
المجلد13- العدد2 (نوفمبر) 1444- 1445هـ/2023م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-013-002
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

ألعابا استمرت خمسة أيام، قتل أثناءها أربعمائة (400) أسدا[1] وعشرين (20) فيلا[2]، كما نظم أغسطس عرضا قتل فيه ثلاثة آلاف وخمسمائة (3500) حيوان إفريقي[3]، وكاليكولا ينظم ألعابا بمناسبة عيد "دروسيلا" قتل أثناءها خمسمائة 500 دب ومثلها من الحيوانات الأخرى[4].

وعرض قورديانوس في الألعاب التي أقامها لكسب مساندة الشعب مائة (100) أسد وفي آخر ألف(1000) دب وثلاثمائة (300) نعامة في يوم آخر[5]، كما استهلكت احتفالات الإمبراطور أوريليانوس نصيبها من الحيوانات منها عشرين (20) فيلا وعددا من النمور والزرافات[6]، لتبلغ الأوج معاحتفالات الإمبراطور بروبوس، التي قتل فيها ألف نعامة في يوم واحد وألف (1000)أسد ثم تبعهم مائة (100) فهد ومائة (100) لبؤة وثلاثمائة (300) فيل[7]، وقد استمر هذا الوضع حتى القرن السادس إثر صدور قرار إمبراطوري سنة 523 م يمنع الألعاب، التي تدرج فيها حيوانات مفترسة.

مهما كانت هذه الأرقام وأثرها على البيئة الحيوانية، يجب أن نلاحظ فوق ذلك عدد الحيوانات، التي تقتل أثناء عملية الصيد للحصول على هذه الأعداد، وكم من حيوان يموت أثناء الأسر وأثناء عملية النقل إلى الموانئ ثم النقل نحو روما، لاشك أنّ الأعداد كانت ضخمة، دون أن ننسى الأعداد التي أفلتت ولم تتم الإشارة إليها من طرف المؤرخين، وهو ما يفسر الإخلال بالتوازن البيئي الذي لم يوليه بيكار الأهمية المطلوبة.

هذا وما لم يلفت انتباه بيكار وغيره، أن ستة قرون من الاستغلال المفرط للبلاد والعباد، لم ينجو منها حتى الحيوان والغابة، لا يؤثر على البيئة(النبات والحيوانات)! وإنما الذي خرب البيئة في نظرهم ذلك المواطن، الذي جرد من أرضه، ودفع به إلى السهوب والصحاري أو

1 -; Sueton, **vie de César**, p. 39.53IDEM, VIII, P.

2 -Piline, H. N., VIII, p. 22.

3 -RES Getae, trad. Michel Dubuisson (Paris 2002) vie Auguste, p. 22.

4 -Dion Cassius, LIX, p. 13.

5 -Histoire Auguste, **Vie de Gordien**, II, p. 2.

6 -Histoire Auguste, **Vie d'Aurélien**, XXXIII, p. 4.

7 -Histoire Auguste, **Vie de Probus** XIX, p. 7.

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية- جامعة وهران1
المجلد13- العدد2 (نوفمبر) 1444- 1445هـ/2023م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-013-002
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

المناطق الجبلية الفقيرة، ليزحف هو الآخر على الغابات في الشمال والاستغلال المفرط للمراعي في الهضاب، هذا البدوي الذي يريد أن يستفيد من خيرات بلاده، هو العالة، وهو المخرب.

بالنسبة للإنسان، عملت روما على إبعاد المواطنين ومصادرة أراضيهم كما حاولت حشر الرحل والحد من ترحالهم، بهدف حماية مزارع المستوطنين، وعملت على استغلال الموارد البشرية والاقتصادية وتسخيرها لرفاهية الشعب الروماني، وهو ما أدى إلى نتائج غير محسوبة ظهرت في أشكال من المقاومة استمرت طيلة الفترة الرومانية[1].

هكذا، كانت سياسة مصادرة الأراضي وحرمان الرعاة من مراعيهم، وكذا الضرائب وابتزاز الجباة التي كانت وبالاً على المواطنين، الذين زادهم تذبذب المناخ شقاء.

عرفنا أن الزراعة في إيطاليا بلغت درجة من التدهور، ساهمت فيها الحروب التي خاضتها روما، والتي كان لها انعكاسات سلبية على الريف الإيطالي، فحروب الوحدة التي قامت بها روما للسيطرة على شبه جزيرة إيطاليا، دامت طويلا، وأضرّت بالزراع، إضافة إلى الحروب الأهلية، ثم الحروب البونيقية، التي عاث خلالها حنبعل فسادا بالريف الإيطالي، وهو ما دفع بالكثير من الفلاحين إلى النزوح نحو المدن[2].

تطلبت الحروب التي كانت تخوضها روما في بقاع مختلفة من العالم القديم المزيد من التجنيد، وكان استدعاء الفلاحين للخدمة العسكرية سببا أيضا في تناقص عددهم وهجر مزارعهم، التي اضطروا إمّا إلى رهنها لإعالة أسرهم خلال الحروب أو يجبرون على التخلي على الزراعة بعد أن تثقل كاهلهم الديون المترتبة عن الضرائب، فيتم طردهم من أملاكهم[3]، التي يستولي عليها جيرانهم من كبار الملاكين[4] بل وكان هؤلاء الملّاكون من أصحاب الضيّع الكبرى، يلجأون إلى الاستيلاء على أراضي الفلاحين الصغار في غيابهم باستخدام شتى الحيل[5].

1 -Benabou (Marcel), **La résistance Africaine à la romanisation**, (Paris 1976)

2 -Marquardt (J.) « De l'organisation Financière chez les romains » **dans Manuel des antiquités romaines**, Trad. Albert vigie, éd E. Thorin Paris (1888), T.10, P. 141.

3 -APPIEN, **Guerres Civiles**, I, 7-9, éd. H. white, coll. Loub (1912-1913) ; Plutarque,**vie de Tiberius Gracchus**, VII, IX ; III, 13 Florus II ; 1.

4 -Ciceron () De leg. Ag. III, 4, 14.

5 -APPIEN, Guerres Civiles, I, 7.

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية- جامعة وهران1
المجلد13- العدد2 (نوفمبر) 1444- 1445هـ/2023م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-013-002
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

ازدياد الملكيات الكبرى على حساب أراضي صغار الفلاحين، الذين عجزوا على منافسة هؤلاء، فاضطروا إلى بيع أراضيهم، وتحولوا إلى يد عاملة أجيرة لدى هؤلاء المزارعين الكبار في مرحله أولى، قبل الاستغناء عنهم والاعتماد على العبيد، الذين كانت تنقصهم الخبرة في خدمة الأرض، مما أدى إلى تراجع الإنتاج[1].

تراجع الإنتاج في إيطاليا في الوقت الذي تزايدت فيه الحاجة إلى الحبوب خاصة القمح، دفع روما إلى الاعتماد على قمح مقاطعتي صقلية وسردينيا، الذي كانت تحصل عليه في شكل ضريبة عينية (Victigales) أو بأسعار رمزية ما دام لم يكن في وسع الصقليين، تسويق حبوبهم إلى بلد آخر غير أسواق روما وايطاليا[2].

كانت روما بعد اقتطاع التموين الضروري للجيش تبيع الفائض بأسعار منخفضة[3]، وأمام هذا الاستيراد المفرط لم تعد زراعة الحبوب في إيطاليا مجزية، فوجه أصحاب الضيّع الكبرى جهودهم لتربية المواشي[4]، التي تتماشى والمساحات الكبرى وغراسة الزيتون والكروم المجزية[5].

إذا كان تشكيل الضيع الكبرى(Latifundia)، قد غير بشكل عميق درجة الزراعة الرومانية، التي يعود لها الفضل في رخاء الشعب الروماني، نظرا لمساهمة صغار الفلاحين بنصيب وافر من الإنتاج، فإن سبب تدمير طبقة الفلاحين هو اللجوء الى استخدام العبيد في استغلال الأرض، عوضا عن صغار الفلاحين، الذين توجهوا نحو المدن خاصة روما[6].

توجُّه الفلاحين أصحاب الملكيات الصغيرة والمتوسطة الذين فقدوا أراضيهم ومناصب عملهم إلى المدن خاصة روما، التي تزايد بها عدد العاطلين عن العمل، إلى جانب قدامى

1- أبيانوس، **الحرب الأهلية**،ا ، 13.

2- هذا ما يستنتج من فقرة لبولبيوس (2,XXVIII)، التي يبدو منها أن سكان رودس طلبوا التصريح من مجلس الشيوخ الروماني، لشراء القمح من صقلية، ووجدنا تقييدا مماثلا لمصر في العصر الإمبراطوري قبل قسطنطين، حيث كان يمنع عليها نقل القمح لغير روما، وبعدها إلى غير القسطنطينية، ماركورات، **النظم المالية عند الرومان**، ج. 10، ص. 142، رقم 1.

3 -J. Marquardt, **op. cit.** p. 142.

4 -Pline, **H. N**. XVIII, 29.

5- نفسه.

6 -J. Marquardt, op. cit. p. 142.

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية- جامعة وهران1
المجلد13- العدد2 (نوفمبر) 1444- 1445هـ/2023م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-013-002
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

المحاربين المسرحين وما يثيرونه من أحداث شغب ومشاكل اجتماعية وآفات، لم تجد روما بدًّا من توفير الحبوب لهم،إما بأسعار رمزية بادئ الأمر (قانون روبريا سنة 123 ق. م)أو مجانا لاحقا (قانون كلوديا 58 ق. م)، فكان إلى جانب تزويد هؤلاء بالحبوب على روما أن تقوم بتموين الجيوش التي تتزايد أعدادها مع تزايد توسعاتها في العالم القديم، فكان لابد لها من مصادر تموين جديدة، فكانت بلاد المغرب معروفة منذ عهود سابقة بإنتاجها للحبوب خاصة القمح، الذي امتاز بالكثرة والجودة[1].

كانت روما تسعى أيضا إلى التخلص من هؤلاء العاطلين عن العمل تجنبا لما يثيرونه من أحداث شغب، وكذا توطين النازحين من الأرياف الإيطالية الذين فقدوا أراضيهم والجنود المسرحين من الخدمة، وهكذا يقدم التوسع خارج إيطاليا حلولا للمعضلة الاقتصادية والاجتماعية، التي كان خطرها يتفاقم مع الوقت[2].

كان لتدهور الإنتاج الزراعي في إيطاليا آثار لا شك سلبية على المقاطعات، نظرا لتزايد الاحتياجات الرومانية للحبوب وخاصة القمح، فكان على المقاطعات تغطيه ذلك كضريبة. وكان عدد المستفيدين من التوزيع قد بلغ ثلاثمائة وعشرين ألفا (320,000)، إذ لاحظ بومبيوس أنّ عددهم يتضاعف، حتى أن بعض العبيد أعتقهم أسيادهم للاستفادة من التوزيع المجاني في إطار التحايل على الدولة[3]، لذلك حدد عددهم سنة 56 ق. م بحوالي 320 ألف مستفيد، ليقلص قيصر هذا العدد سنة 46 ق.م. إلى مائة وخمسين (150) ألفا[4]مع عدم إمكانية إضافة أشخاص جدد إلى القائمة إلا لتعويض مستفيدين حذفوا منها[5]، لكن العدد ارتفع من جديد حيث وصل عددهم سنة 44 ق.م. إلى مائتي وخمسين(250)ألف شخص، ولم ينخفض منذ ذلك الوقت، بل تجاوز ذلك سنة 5 ق.م، ليصل من جديد إلى ثلاثمائة

1-حارش (محمد الهادي)، "أصول الزراعة في بلاد المغرب القديم"، **كتاب المؤتمر الثاني عشر للاتحاد العام للأثريين العرب (14-16 نوفمبر 2009)**، ص. 493-502.

2- شنيتي (محمد البشير)، **سياسة الرومنة في بلاد المغرب من سقوط الدولة القرطاجية إلى سقوط موريطانيا (146 ق. م- 40 م)**، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع (الجزائر 1982)، ص. 50.

3 -Dion cassius, XXXIX, 241.

4-Sueton, César, 41.

5- نفسه

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية- جامعة وهران1
المجلد13- العدد2 (نوفمبر) 1444- 1445هـ/2023م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-013-002
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

وعشرين(320)ألف[1]في عهد أغسطس، الذي قام بإحصاء جديد سنة 2 ق.م، وحدد عدد المستفيدين من تمويل الدولة بمائتي (200) ألف شخص[2]، يستلمون جراية من أربع وأربعين (44) لترا من القمح كل شهر، وترتفع هذه الكمية في عهد الإمبراطور نيرون (54-68م) إلى ثمانية عشر (18) مليون صاع، وهو ما يساوي مليون ومائتي وستين ألف قنطار1260.000، وهو ما يدعو إلى الاعتقاد في حدوث ارتفاع حاد في معدل إنتاج القمح، لكن في الواقع يتماشى مع سياسة الأباطرة الرومان، التي اتسمت في القرن الأول الميلادي بتكريس جهودهم لزراعة القمح، التي انتشرت بالخصوص في سهول أمبوريا والسهول الكبرى بتونس والسهول العليا القسنطينية ومناطق من موريطانيا القيصرية سطيف بالخصوص[3].

هذا حتى تستجيب لاحتياجات الأفواه الجائعة في روما، والتي تتزايد يوما بعد يوم وتستجيب أيضا لسياسة التوزيع المجاني لهذه المادة الأساسية: القمح ، خارج الحبوب والقمح بالخصوص، التي كرست الجهود للتوسع في إنتاجه، وأصبح الشجرة، التي تغطي الغابة، نجد أن الزراعة الشجرية، كانت حكرا على إيطاليا، إذ حاولت روما احتكار هذه الزراعة (الزيتون والكروم) بمنع انتشارها خارج حدود شبه جزيره إيطاليا[4]، بل وأمر الإمبراطور دوميسيانوس(81- 86 م)، إزالتها من المقاطعات، بهدف حماية الإنتاج الإيطالي من المنافسة الخارجية[5]، ذلك لأنإيطاليا، كانت حينئذ تتحكم في سوق النبيذ والزيت المربحة، وحرصت أن لا يكون هناك منافس لها في زراعة الكروم والزيتون[6].

كان هذا خلال القرن الأول الميلادي، لكن هذه السياسة، تتغير فيما بعد لاسيما ابتداء من النصف الثاني للقرن الثاني الميلادي، حيث يتم توجيه الاهتمام إلى الزراعة الشجرية، التي تصدرتها غراسه أشجار الزيتون والكروم، حيث اعتبر بعض المؤرخين القرن الثاني فتره توسع وازدهار المساحات المزروعة بالزيتون والكروم، خاصة بعد أن أصبحت مادة الزيت توزع هي

1 -Dion Cassius, XVIII, 21,3.

2-Sueton, Auguste, 40 ; Dion Cassius, LV, 10, 1.

3- حارش (محمد الهادي)، **التاريخ المغاربي القديم**، ص. 204.

4 -Cicéron, De la république, III, 6.9.

5 -Sueton, vie de Domitien, 7, 2.

6- كيكيرو، المرجع السابق،II، 6، 9.

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية- جامعة وهران1
المجلد13- العدد2 (نوفمبر) 1444- 1445هـ/2023م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-013-002
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

الأخرى بالمجان على العامة، بداية من عصر الإمبراطور سبتيميوس سواريوس(193-211 م)، فأصبحت الأراضي، التي تستصلح تغرس بالزيتون[1].

تابع أباطرة القرن الثاني الميلادي، وهم يقدمون مزايا استثنائية[2] للمزارعين الذين يقومون باستصلاح الأراضي غير الصالحة للحبوب، التي تركها المساحون مثل أراضي الغابات أو المستنقعات، ومن الممكن أيضا جزء من أراضي القمح، التي أنهكها الاستغلال المفرط والكثيف، ويمكن أن تغرس زيتونا أو كروما، وأخيرا كل المناطق الواقعة إلى الجنوب من المناطق، التي لا تتجاوز فيها كمية التساقط 200 ملم.

هكذا، احتلت غراسة الزيتون في إقليم طرابلس والهضاب العليا المحاذية للحدود الجزائرية-التونسية بين سوق أهراس وتبسة إلى سبيطلة ومنطقة القبائل مكانة هامة إذ أصبحت مدينه توبوسكتو (تكلات)، إحدى مراكز التصدير للزيت إلى روما عبر بجاية، إذ عثر على عدة أمفورات تحمل ختم هذه المدينة في أوستيا، بل وجدنا أمفورة تحمل ختم هذه المدينة حتى في مروة شمال السودان وفي إسبانيا[3]، كما تعد مدينتي حضرموت[4](سوسة) بتونس ولبدة[5] بإقليم طرابلس مراكز لتصدير هذه المادة.

لا يجب أن يفهم أن هذه المناطق لم تعرف غراسة الزيتون قبل هذا العهد، بل لنا في فرض يوليوس قيصر ضريبة سنوية على الجزء، الذي احتله من نوميديا، يقدر بثلاثة ملايين رطل[6] من الزيت، والمقدار نفسه على مدينه لبدة، ما يدل على الانتشار الواسع لغراسة الزيتون في شمال إفريقيا ما قبل الرومان.

1-Histoire Auguste, vie de severe XVIII, 3.

2- وفق قانون ما نكيانا من يستصلح أرضا ويغرسها زيتونا يعفى من الضريبة لمدة عشر سنوات، وإذا كان زيتونا بريا يعفى لمدة خمس سنوات، وهو الأمر لمن يغرس أشجارا مثمرة يعفى لمدة خمس سنوات، خلاف ذلك في قانون هادريانا: يعفى من الضريبة لمدة عشر سنوات من يغرس أو يطعم زيتونا، ويعفى من يغرس أشجارا مثمرة لمدة سبع سنوات.

3 -C. I. L, VIII, 2634 ; 2635.

4 -C. I. L, XV, 3375 ; 3381.

5 -C. I. L, VIII, 2633 ; 3382.

6- إذا كانت هذه الكمية تمثل عشر الإنتاج، فهي تساوي حوالي 10678 هكتولتر، وبذلك يكون إنتاج سكان لبدة يتجاوز سنويا مائة ألف (100.000) هكتولتر وفق قزال إنتاج الجزائر في المتوسط سنويا، خلال القرن الماضي ثلاثمائة وخمسين ألف (350.000) هكتولتر، قزال، ج 5، ص. 201 رقم 1.

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية- جامعة وهران1
المجلد13- العدد2 (نوفمبر) 1444- 1445هـ/2023م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-013-002
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

يشهد على ذلك أيضا ما ذكره ديودور الصقلي، في إطار روايته لنزول أغاثوكليس في رأس الطيب أواخر القرن الرابع قبل الميلاد، وما شاهده من مزارع الزيتون والكروم والأشجار المثمرة الأخرى، والمراعي الشاسعة حيث تربى قطعان الثيران والأغنام، وحقول رطبة حيث تربى الخيول[1].

هكذا نلاحظ أن الوضع ليس كما تحاول المدرسة الاستعمارية تصويره، وأن الكثير من الأعمال، التي قامت بها روما، لم تبدأ من فراغ وأن أعمالا سابقة كانت موجودة مهدت لهذا التوسع في الخريطة الزراعية في الفترة الرومانية، فقد تحدثت مصادرنا عن الجهود التي بذلها ماسينيسا لتحويل الرعاة إلى الاستقرار وممارسه الزراعة، التي لم تعد تقتصر على الحبوب فحسب، بل امتدت لتشمل الزيتون والكروم والأشجار المثمرة الأخرى، زيادة على تربية الخيول، التي اشتهرت بها نوميديا[2].

كان فائض الإنتاج وانتشار استخدام العملة في عهد هذا الأقليد وراء كثافة التبادل التجاري، الذي عرفته نوميديا، إذ خرجت إلى أسواق البحر الأبيض المتوسط كدولة مصدرة للحبوب لها تأثير على السوق.

أدّى الازدهار الزراعي والتطور التجاري في عهده وعهد خلفائه إلى نمو مدن وانبعاث أخرى، وظهرت بوادر التحول في الحياة الاجتماعية، بعد أن عمل دائما وطوال حياته على إقامة أواصر دولة متحررة من العلاقات القبلية، للوصول إلى ذلك، اعتمد انشاء قوات برية وبحرية للذود عن البلاد[3].

عرفنا من خلال تلك المصادر أن ماسينيسا صدر كميات معتبرة من القمح إلى رودس[4] وكذا إلى ديلوس[5] حيث أقيم له تمثالان، تخليدا لهذه العلاقة، وكذا تصدير كميات كبيره من القمح والشعير إلى روما[6]، وحتى شجرة الزيتون والكروم لم تكن حديثة العهد في ثامزغة[1].

---

1 -Diodore de Sicile, XX, 8,8-4 ; XX,3, 3 et Gsell (S.), **H.A. A. N**, T. 3, p. 29.

2- حارش (محمد الهادي)، **التاريخ المغاربي القديم**، ص.121.

3 -Camps (G.),**Massinissa**, p. 183.

4 -Gsell (S.) **H.A.A.N**.T.3, P. 307 n 4.

5 -IDEM. P. 308.

6-تيتوس ليفيوس،XXXI ، 19، 4، XXXII، 27، 2.XXXVI ، 3، 1-4.XLIII ، 6.

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية- جامعة وهران1
المجلد13- العدد2 (نوفمبر) 1444- 1445هـ/2023م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-013-002
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

هذه الخيرات هي التي تكون قد أسالت لعاب روما، وجعلت البلاد المغاربية تدفع ثمن تراجع الزراعة في شبه جزيرة إيطاليا، إذ تحولت مع الوقت إلى ممون رئيسي لروما بالمواد الزراعية الضرورية، خاصة القمح والزيت، حتى أصبحت عبارة"إفريقيا مطمورة روما" شائعة الاستعمال.

يشير فلافيوس يوسيفوس[2] إلى أنّ بلاد ثامزغة تمون روما باحتياجاتها السنوية لمدة ثمانية أشهر فضلا عن ضرائب أخرى، بينما تمولها مصر بما يكفيها من القمح لمدة أربعة أشهر البقية، وبناء على هذا تكون ثامزغة، ترسل ضعف الكمية، التي تمونها بها مصر، ومادامت مصر تمونها في عهد الفلافيين (69- 98 م) بعشرين(20) مليون موديوس بناء على أوريليوس فيكتور[3]، تكون بلاد ثامزغة تقدم أربعين(40) مليون موديوس، وهي كمية يعتبرها كانيا[4] مرتفعة، وحتى عندما أشار بيكار[5]إلى تحسن الوضع بفضل الاستيلاء على أراضي جديدة في نوميديا وموريطانيا بعد تهدئتها نسبيا،إذ لاحظ العدد الكبير من الوثائق الإيبيقرافية التي تشهد على نشاط اللجان المكلفة بتوزيع "الحقول، المراعي، الينابيع" في المقاطعتين، بدأت منذ عهد أغسطس في ضواحي قرطن (قسنطينة)، لتصل في عهد السواريين في منطقة الحضنة إلى حدود الصحراء، لكن لم تفته الإشارة إلى وقوع أعباء جديدة على المواطنين بعد تحول ضريبة"التموين العسكري"إلى ضريبة دائمة في عهد سبتيميوس سواريوس[6].

هكذا أصبحت مهمة وحدات "الليمس" في وقت لاحق خلال الثلث الأول من القرن الثالث هي منع الرحل غير الخاضعين في الهضاب العليا والأطلس الصحراوي الوهراني من الدخول إلى موريطانيا القيصرية، وضمان الأمن بذلك للمزارعين المستقرين من المستوطنين الرومان. وإذا عدنا إلى الإنتاج منذ عهد قيصر، نجد أن مقاطعة إفريقيا بما فيها نوميديا وإقليم طرابلس،

1-أنظرنا مقالنا: حول التأثيرات الفينيقية في بلاد القديم، دراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية، مجلة علمية محكمة سداسية تصدرها كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر 2، العدد 14 (2010)، ص. 352-354.

2 -Flavius Josephus, **Guerre des juifs**, II, 16, 14.

3 -Aurelius Victor, Epitome, I.

4 -Cagnat R., L'annone d'Afrique, p. 254.

5 -Picard G. Charles la Civilisation de L'Afrique romaine, p71.

6-IDEM,

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية- جامعة وهران1
المجلد13- العدد2 (نوفمبر) 1444- 1445هـ/2023م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-013-002
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

كانت تنتج أربعة وثمانين (84) ألف قنطار سنويا في المتوسط، وبعد ذلك بقرن في عهد الإمبراطور نيرون(54-68 م)، كانت المقاطعة تنتج عشر مرات ذلك الرقم، وقد رأى الإمبراطور أنه يمكن أن يفرض على إفريقيا ثلثي احتياجات روما من القمح سنويا، منذ ذاك الحين حتى القرن الرابع دون شك كان يوجه مليون ومائتي وستين ألف (1260000) قنطار من القمح الإفريقي سنويا إلى مخازن أوستيا[1].

كان الإنتاج الإجمالي في عهد نيرون يقدر ما بين تسعة وعشرة (9-10) ملايين قنطار، وكان التموين يقتطع كمية معتبرة، ما جعل بيكار[2] يقول: "إذا افترضنا أن عدد سكان إفريقيا، يقدر آنذاك ما بين ثلاثة-أربعة ملايين، لا يبقى أبدا فائض، ويكون قسم كبير من الفلاحين يقتاتون على الذرة والشعير، وفترات الجفاف، تتسبب بالضرورة في المجاعة"، علما أنّه سبق له وقدر عدد سكان إفريقيا في الفترة ما بين منتصف القرن الثاني والثلث الأول من القرن الثالث الميلادي بستة ملايين ونصف المليون نسمة، ما يعني أن الوضع يزداد سوءا بالنسبة للمواطنين.

الخاتمة: وفي الختام، يمكننا القول أنّ البلاد المغاربية، كانت "مطمورة روما"، فكانت كذلك، لأنها كانت "مقهورة"، فقد أرغمت على إمداد الغزاة بالقمح، ولو كان ذلك على حساب أبنائها، هذه الحقيقة تغافلها بيكار وقوتيه وغيرهما مثلما تغافلها تاكيتوس وغيره البارحة.

كانت سياسة روما في البلاد الخاضعة، هي سياسة استغلال الموارد البشرية والاقتصادية وتسخيرها لرفاهية شعبها المنتصر مهما يكن، إذا كانت عبقرية الإنسان الروماني البارحة أو الفرنسي في العصر الحديث، هي التي كانت وراء ذلك الثراء "المطمورة"، نتساءل، لماذا عجز الإنسان الروماني عن حل مشاكل روما الغذائية في إيطاليا؟ ألم يكن الجوع، وإشباع الأفواه الجائعة في روما وراء احتلال بلادنا البارحة؟ ألم تكن الديون الجزائرية على فرنسا المترتبة على صفقات القمح، التي عجزت فرنسا عن تسديدها هي سبب حادثه المروحة؟ من كان يعصره "الجوع" إذن؟

هذه خلاصة عامة عن مناهج التفكير، التي سادت في الفترة الاستعمارية، والمتبعة في كتابة تاريخنا، ولم نتمكن من التخلص منها ودحضها حتى الآن للأسف الشديد.

1 -IDEM, P. 70.

2 -IDEM, P. 71.

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية- جامعة وهران1
المجلد13- العدد2 (نوفمبر) 1444- 1445هـ/2023م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-013-002
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

قائمة البيبليوغرافيا:

أولا: المصادر الأجنبية:

Appien, Histoire des guerres civiles, trad. Combes- Dannous (Paris 1808).

Aurelius Victor, Livre des Césars, trad. Pierre Defraigne, éd. Leroux (Paris 1932).

Cicéron, De la république, trad. N. Nisard, (Paris 1919).

Dion Cassius, Histoire romaine, trad. N. A., Dubois, éd. Panckoucke (Paris 1845- 1870).

Diodore de Sicile, Bibliothèque Historique, trad. A.F., Milo, éd. imprimerie royale (Paris 1834- 1837).

Flavius Josephus, guerre des Juifs, trad. R. Armand, éd. E. Leroux, (Paris 1932).

Julius Capitolini, Histoire Auguste, «vie de Gordien», trad. Andre Chastagnol, éd. Robert Laffont, (Paris 1994).

Pline l'ancien, Histoire Naturelle, trad. Hubert Zehnacker, éd. Gallimard, (Paris 1999).

Plutarque, Vies des hommes illustres, trad. Gérard Walter, éd. Gallimard, (Paris 1951).

Suétone, «Vie de César», dans vies des douze Césars, trad. et commenté par Pierre Klossowski (1990).

Tacite, Annales, trad. H. Bornesque, éd. Garnier, (Paris 1965).

ثانيا: المصادر العربية:

حارش (محمد الهادي)، التطور السياسي والاقتصادي في نوميديا منذ اعتلاء ماسينيسا العرش إلى وفاة يوبا الأول 203-460 ق.م.، دار هومة للنشر والتوزيع، (الجزائر 1993).

حارش (محمد الهادي)، التاريخ المغاربي القديم السياسي والحضاري منذ فجر التاريخ إلى الفتح الإسلامي، المؤسسة الجزائرية للطباعة، (الجزائر 1995).

محجوبي (ع.)، العصر الروماني وما بعده في "شمال إفريقيا" في تاريخ شمال إفريقيا العام، ج.1، اليونيسكو (1987).

ثالثا: المراجع باللغة الأجنبية

Benabou (M.), La résistance Africaine à la romanisation, (Paris 1976).

Camps (G.), Aux origines de la berbèrie, Massinissa ou les débuts de l'histoire, (Lybica 1961).

Gautier (E.F.), Le passé de l'Afrique du nord, les siècles obscurs, éd. Payot, (Paris 1952).

Gsell (S.), Histoire ancienne de l'Afrique du nord, éd. Assala culture, (Alger 2013).

Marquardt (J.), «De l'organisation financière chez les romains» dans Manuel des Antiquités romaines, trad. Albert vigie, éd. E. Thoris, (Paris 1888).

Picard (G.Ch.), La civilisation de l'Afrique romaine, éd. Plon, (Paris 1959).